ما ذنب الطبيعة؟

ثمة حقيقة راسخة أن الطبيعة قادرة على احياء نفسها وتجميلها ... فبكل فصل من الفصول الأربعة هناك مرحلة حياة جديدة ... ولأننا خرجنا منها وسنعود اليها ... فإننا دائما ما نحب الخروج اليها لنتنفس الهواء العليل ونطلق لأرواحنا ألقها ... وهذا عائد الى جيناتنا التي أصلها من تراب.

اتفقنا أنا وصديقي الذي يعشق الطبيعة ومكوناتها أن نقوم بجولة تأمل بالمحمية ... فكان صباح يوم الجمعة موعدنا ... ومسار الشريف دربنا ... حملنا حقائبنا وفيها كل ما يلزمنا من ماء للشرب وسندويشات خفيفة ... ولم ننس أكياس النفايات الفارغة ... فبطريق العودة لا بد من جمع النفايات الملقاة على المسار ... علنا نخفف من التلوث ولو بجزء بسيط.

ما زال الطقس لطيفا يتخلله هواء عليل ... حيث اتينا مبكرا قبل أن تحمى عين الشمس ... خطواتنا بطيئة لأن هدفنا التأمل ... نلتفت الى كل ما حولنا بصمت ... نريد أن نسمع كل ما هو آت من الطبيعة ... صوت أغصان الأشجار تحركها الرياح ... صوت الطيور ... صوت حركة أقدامنا على الأعشاب الجافة ... صوت قطعان الماشية الآتي من بعيد ... صدى صوت جرس المرياع يملأ الأثير ... وهناك راع يعزف على آلة الشبابة ما أجمل ذاك اللحن ... وعندما حست بنا كلاب الراعي عم نباحها المكان ولم نعد نسمع سواه.

وصلنا منتصف المسار حيث الاطلالة الساحرة ... جلسنا بظل شجرة بلوط معمرة ... تناولنا وجبة الإفطار المعدة مسبقا لدينا ... نجلس بظلها الوارف على تلك الصخرة الكبيرة المنبسطة ... نتأمل الأشجار حولنا والنباتات ... وكلما اعجبنا منظر كانت كلمة لولا انه ... فالأشجار حولنا لم تسلم من التقطيع والعبث بها ... وقد بحثنا أثناء المسير عن تلك النباتات التي نعرفها فلم نعثر عليها ... فقد أزيلت من الجذور بدلا من قطف الثمار ... هناك صوت خربشة على الشجرة التي نجلس بظلها ... وقد لاحظنا تحليق الطيور على الأشجار المحيطة بنا وعدم اقترابها من هذه الشجرة ... فامعنا النظر واذا بكيس نايلون عالق بمنتصف الشجرة مما يمنع الطيور من الاقتراب منها ... فقرر صديقي تسلق الشجرة وإزالة هذا الكيس ... فوجد عصفورا قد علقت قدمه بالكيس ولم يقوى على الطيران ... فخلصه من معاناته وحلق فرحا برفقة اخوانه الطيور ... فخرجت من أفواهنا معا كلمة ما ذنب الطبيعة؟ ... نزل صديقي عن الشجرة وجلس بجانبي والفرح والسرور يملأ قلبه ... لقد حرر العصفور وأنقذه من الموت ... أخذنا نراقب حركة الطيور بعد انضمام العصفور إليهم ... فكانت تحلق فوقنا وكأنها تشكرنا على إنقاذه من الموت ... وبعد قليل تجمعت على الشجرة فوقنا بعد احساسها بالأمان ... والتزمنا الصمت لمدة نصف ساعة نستمع لتغريدها ونراقب حركتها ... فكانت من أجمل لحظات العمر التي عشناها بهجة وسرور.

لماذا العبث بمكونات الطبيعة ونحن سكانها؟ ... فنحن من يستمتع بجمالها ونأكل من ثمارها ... هي حاضنتنا وليست عدو لنا ... ولولا هذه الطبيعة الخلابة ما كنا سكانها ... فقد اختارها أجدادنا سكنا لوفرة منتجاتها واعتدال طقسها وجمالها ... وعلى مر العصور القديمة لم تخل هذه المنطقة من السكان.

عماد العمري

حكايا المسارات

ما ذنب الطبيعة لنحدث فيها هذا التشوه البصري والتلوث البيئي ... أما التقطيع واختفاء الأنواع فتلك جريمة بحق الطبيعة لا تغتفر ... واني أكاد أسمع صوت الطبيعة تقول: دعوني أصنع لكم الجمال وأهيأ بيئة جاذبة تسر الناظرين ... وتمتع الزائرين ... دعوني أعيد أحياء التنوع الحيوي للمكان ... فلم يبق بحوزتي الا القليل ... دعوا الأشجار والنباتات تنمو لتحسين الطقس وتزويدكم بالأكسيجين ... يكفيكم ظلال الأشجار حماية من حر الشمس الحارقة ... فقد كان صوت الطبيعة مرتفعا وحزينا فلم أكن أسمع رفيق دربي الا بعد أن اقترب مني وأوقفني لأكون معه ... فحكيت له ما كان بيني وبين الطبيعة من حوار ... وكانت ملامحي توحي بالكدر والحزن ... وقد غفر لي ما كان.

بطريق عودتنا وكما خططنا مسبقا جمع كل واحد منا ملئ كيس نفايات من مخلفات الرعيان والزوار لهذه المنطقة ... نلتقط كل ما تقع عليه أعيننا من أكياس نايلون الى علب الحديد وعبوات زجاجية ... وكنا في غاية السعادة والغبطة ... نساعد الطبيعة كي تكون أجمل وأنقى ... وقد خف الشعور بالكدر والحزن عندي باتجاه الطبيعة لأنني قمت بعمل ولو بسيط من أجلها.

وقفت بظل شجرة خروب ورفيقي خلفي بخطوات ... وبدأت أخاطب الطبيعة بصوت مرتفع: عذرا أيتها الأم الحاضنة ... وصاحبة الصدر الواسع والقلب الكبير ... فقد تحملت منا الأذى بصمت ... ولم تثوري أو تمنعي عنا خيراتك ... عذرا لكل خطوة كان فيها خراب جزء من التنوع لديك ... أعتذر عن كل من حطت قدماه على دروبك الساحرة ... أعاهدك منذ اليوم على أن أكون الصديق الوفي ... وسأعلن للجميع شعار كن صديقا للطبيعة ... وتبعني رفيقي بتكرار العهد.

خرجنا من المحمية يغمرنا الأمل ... فرحين بما قمنا به خدمة للطبيعة وسكانها من الطيور والحيوانات ... وزوارها سائحين ومستخدمين ... لقد خرجت منا كل الشحنات السالبة ... وأصبح لدينا طاقة مليئة بالحيوية والنشاط والسعادة ... وكلنا شوقا للعودة اليها برحلة جديدة ... وكلما ابتعدنا عنها جذبتنا اليها برائحة جديدة ولون جديد ... وكلما زاد البعد تعمق الشوق والحنين ... فما نستطيع البعد عنها وأصلنا من تراب.

عماد العمري